

الثقة والهرمونات

نيكولاس ويد

صحيفة نيويورك تايمز

8 يونيو 2010

Hormones Tip Balance in Matters of Trust

By Nicholas Wade

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- صحفي بريطاني متخصص بالمجال العلمي في صحيفة نيويورك تايمز.
- عمل في عدد من المجلات العلمية الكبرى من أمثال سيانس ونيشتر.
- له عدد من الكتب المهمة التي حازت على جوائز مرموقة.



نيكولاس ويد

الثقة هي العنصر الذي يضمن ترابط المجتمع البشري. ولكن من يثق بالآخرين إلى حد يخرج عن المقدار الطبيعي يعرض نفسه للوقوع في حبال الخادعين؛ أما العلم فيربط الثقة بهرمونات يمكنها أن تدفع الناس إلى تغيير مستوى الثقة صعوداً ونزولاً.

يتوسط في معادلة الثقة هرمون دماغي يدعى الأوكسيتوسين (oxytocin)؛ فأية لمسة ناعمة أو ملاطفة حميمية ترسل «نبضة» من الأوكسيتوسين إلى الدم. وقد اكتشف باحثون سويسريون عام 2005 أن إفراز نسبة ضئيلة من الأوكسيتوسين يؤدي إلى جعل المشاركين في الألعاب الاستثمارية (كالمونوبولي وغيرها) أكثر تقبلاً لإعطاء أموالهم للغيراء. وربما يبدو من الغريب أن يوجد تأثير للهرمونات في حسابات دقيقة كالتالي نقوم بها لمعرفة من هو جدير بالثقة. ولكن الثقة قد تكون على مقدار من الأهمية في بقاء المجتمع إلى حد يجعل الاصطفاء الطبيعي يزودها بأساس هرموني. والثقة ليست أمراً إيجابياً على الدوام. فقد يسلم أحدنا أمواله بيد مستثمر مخادع يعده بأرباح ثابتة مهما تراوحت سوق الأسهم في صعودها ونزولها؛ ولذلك توجب أن يكون هنالك ترياق لأثر الأوكسيتوسين يمكن المرء من الاحتفاظ بمشاعره الدافئة الناعمة تحت السيطرة بحسب الظرف الذي يعيشه.

الثقة والهرمونات

في تقرير جديد جاء على صفحات عدد شهر مايو من مجلة (بروسيدنغز Proceedings) الصادرة عن الأكاديمية الصحية الوطنية أعلن فريق بحثي في جامعة أوتريخت الهولندية عن عثوره على هذا الترياق: إنه التستوستيرون؛ حيث أعطى الفريق لمجموعة من الشباب جرعة من التستوستيرون على شكل قطرة تحت اللسان، ثم سألوه عن مقدار ثقتهم بمجموعة من صور الرجال. وكانت النتيجة أن الشباب كن أقل ميلا بكثير للثقة بالوجوه المعروضة مقارنة بقريباتهن اللواتي تلقين قطرة من دواء وهمي عوضا عن التستوستيرون. لكن هذا التأثير الهام لم يكن متشابها عند كافة الشباب، فمن كانت منهن أقل ثقة، وذلك بحسب نتيجة الدواء الوهمي. كادت لا تبدي أي تأثير عند إعطائها التستوستيرون؛ وإنما كانت الشباب ذوات الثقة العالية هن اللواتي تأثرن أكثر من غيرهن به، وهو المتوقع باعتبار أن الاضطفاء الطبيعي قام بتطوير النظام الهرموني عند هؤلاء الذين يحتاجون إلى الحماية أكثر من غيرهم؛ فكانت نتيجة البحث: «التستوستيرون ينقص الثقة المتبادلة، ويبدو أن ذلك يحدث على نحو تكيفي».

في العديد من الثدييات يتمثل معظم تأثير التستوستيرون على السلوك الاجتماعي في زيادة مستوى العدوانية عندما يتنافس الأفراد على منزلة اجتماعية أو مورد من الموارد؛ أما الفريق البحثي الهولندي فينظر إلى هذا التأثير عند البشر بمنظار أكثر إشراقا، حيث جاء في التقرير:

أما عند البشر فيبدو أن الهرمون [التستوستيرون] يعمل على تحفيز عقلانية عملية اتخاذ القرار، ومراقبة المجتمع، والذكاء؛ وهي أدوات لا غنى عنها لتحقيق النجاح في مجتمع حديث.

يرى مارك هاوزر (Marc Hauser)، وهو عالم مختص بالبيولوجيا التطورية من جامعة هارفارد، أن الاكتشاف الجديد ذو أهمية عظيمة، وأنه فتح الباب لدراسة الآليات التي توفر

الثقة والهرمونات

الإرشاد للثقة والعلاقات الاجتماعية وعدالة القرارات. بالإضافة إلى كونها آليات ينبثق عنها اختلاف الشخصيات.

تشير دراسات أخرى إلى أن التستوستيرون يثير الرغبة الجنسية عند النساء. ويبلغ قمة إفرازه قبل الإباضة تماما؛ وإذا نظرنا إلى الأمر من منظور تطوري فيبدو من الطبيعي أن المرأة ينبغي أن تكون أكثر اهتماما بالجنس عندما تكون أكثر تأهبا للحمل. ولكن كيف تنسجم خاصية تحفيز الرغبة مع ذلك؟ يجيب عن هذا السؤال الباحثان ريان جونسون (Ryan T. Johnson) ومارك بريدلوف (S. Marc Breedlove) من جامعة ميشيغان بالقول: «إن ارتفاع سوية الرغبة تجاه موثوقية الشريك المحتمل يمكن فهمها وفق المنطق التطوري؛ حيث يكون للدعم المستمر الذي يقدمه الأب دور حاسم في بقاء الطفل».

إذن، أيها الرجال، أنتم تعلمون مسبقا بأن النساء ذوات مزاج معقد. ولكن الأبحاث أظهرت بأن مستوى التعقيد أعلى مما تظنون: فعندما تصل المرأة إلى أعلى مستوى من الرغبة بالرجل، تكون قد وصلت أيضا إلى أعلى مستويات الرغبة تجاهه.